

هَذَا الْج

مراد صبحي

المنزل مبكرا ، ولا تزال آثار « البودرة »
بادية فوق وجهه . فقد كان من عادته ألا
يعرض لموسي الحلاقة إلا إذا كان لديه
عمل ، ثم أبدل الصندل الذي ينتعله بالحذاء
« الاجلسيه الاسود » اللامع ، وجلبابه
الزفير بأخر أبيض حريري نظيف مكوي
مخصص للحفلات ، وأرتدى فوقه معطفه
الحالك السواد ، وأحكم وضع طربوشه
فوق رأسه بميل كبير نحو أحد حاجبيه
وقد تدلى الزر فوق أذنه يداعبه —
كالعاشق — بحنان .

وهكذا أكمل ارتداء زيه الرسمي ...
وأصبح على « سنجة عشرة » ... وجلس
في انتظار من سيذهب معه إلى الفرح ...
وهو يسلى نفسه بتدليك جلد الطلبة
براحة يده بين الحين والحين ، ليبعث فيها
الدفء فتشدد وينجلي صوتها ... وطل
عليه الوقت ... ولم يحضر أحد ، ف شعر
بدبيب السأم والملل يتسللان إليه ، وتحرق
شوقا للذهاب وقد استعاد في أذنيه
صوت من كان يصف له الاستعدادات
الكبيرة التي أتمها أصحاب الفرح لهذه
المناسبة السعيدة . وأخيرا لم يجد بدا
من اصطحابه معه لأول مرة . موصيا إياي

.. لم أر أبى في صغرى — وهو
يؤدي عمله « كطبال » في فرقة للمعالم .
قبل تلك الليلة التي ذهبت فيها —
بصحبتة ... إلى ذلك المنزل المقام فيه
« الفرح » لأول مرة .

.. وكانت كل معرفتي بعمله ...
تنحصر في تلك الاخبار .. التي كان أبى
يقصها علينا ... عن الانفراح ...
والليالي الملاح ، التي يحييها مع زملائه ،
وما قد يحدث فيها — من نوادر ...
وطرائف ... لا تخلو منها عادة !

... وكنت أحيانا — أذهب إليه في
ذلك المقهى المعروف بزيائنه من أولاد
« الكار » الذين يتخذونه مقرا ومحل اختارا
لهم ، في الليالي التي لا يوجد فيها عمل
لديهم — وما أكثرها . فأجده وقد اتخذ
ركنا منها ، وراح يدرب أصابعه على
« طبلته » العتيقة الأثيرة إلى نفسه ..
التي لا تفارقه أبدا ، مشاركاً أحدهم في
التدريب على غناء أغنية جديدة لمطرب
كبير .. أو « منولوج » حديث « لمنولوجست »
معروف .

وفي تلك الليلة ... دخل أبى علينا

بضرورة مراعاة أصول الادب واللياقة في تصرفاتي ولم اصدق اذننى لفراط السعادة التى غمرتنى .

فقد آن لى ان ارى ، راي العين ... هذه الدنيا الساحرة — دنيا الانراح بعد ان سمعت من ابي عنها الكثير .

ولست اذكر كيف وصلنا الى المنزل المنشود لارى واجهته وقد غمرت بها الانوار الباهرة الملونة ، التى خطفت بصرى ، واستولت على مشاعرى ، وجعلتنى احس بالدماء تجرى فى عروقى بحرارة ونشوة !! وسمعت افراد الفرقة تنادى على ابي :

— تعالى هنا يا مصطفى ... انت تاخرت علينا خالص .

ودخل ابي معهم فى مناقشة طويلة ، حول التأخر عن الموعد ، ومن هو المخطئ .. ومن هو المصيب ، بينما كان يتخذ مجلسه الى جوارهم امام المدعويين فوق نصب مرتفع — اشبه بخشبة المسرح بينما اندست وسط صفوف المدعويين ، وانا اتيه فرحا .. واكاد اميل على اذان الجالسين الى جانبى لاقول لهم بكل فخر ... اننى ابن مصطفى .. هذا « الطبل » المعروف .

وبدا الحفل بتقديم رقصة بلدية من « الباتعة » — راقصة الفرقة ومطربتها الاولى — التى راحت تتثنى وتتميل .. على انغام الموسيقى ... وضربات انايل ابي المدربة على طبلته العتيقة ... وانتشيت بهذا الجو المشحون بمشاعر الفرح .. والسعادة ، وعجبت كيف قدر لى ان اظل كل تلك السنوات الماضية دون ان اتمتع بالتواجد فى مثل هذه الليلة ... ولو حتى مرة كل حين وحين !

وانتهت « الباتعة » من تقديم رقصتها وتبادل معها افراد الفرقة الآخرون بقية فقرات البرنامج ، الذى ساهم فيه والذى بنصيب الاسد دون ان ينال قسطه من الراحة ... فلا غنى للفرقة عن اصابعه الماهرة وضرباتها البارة فوق الطبلية يصحبها هزات جسمه المتتابعة الى اعلى واسفل ، ويمينا ويسارا ، وخلف وامام وكأنه جالس فوق زبلك تبعا لما تتطلبه اصول الصنعة والايقاع المطلوب وامتدت السهرة وامتدت حاملة بالوان المسرات والموسيقى والرقص والطرب والفكاهة تتخللها لحظات لجمع « النقطة » من المدعويين تهبط خلالها « الباتعة » الى صفوفهم وتتثنى بجسمها اللدن فوق صدر هذا او ذاك فما تلبث الايدى ان تمتد الى الجيوب وتخرج منها ما تجود به انفسهم ، او ما يحبون ان يعرف عنهم من الكرم او اعزازهم للعريس السعيد فيلصقون الاوراق المالية المتفاوتة القيمة تبعا لتفاوت درجة اظهارهم لمشاعرهم فوق جبين الراقصة او يضعونها فى فتحة ثوب صدرها الواسعة التى تكشف عن جزء كبير من نهديها الناضجين فتنتقل برشاقة ودلال لتقبل النقطة بحمد وشكر وتناولها لرئيس الفرقة الذى يمسكها بين اصابعه مظهرا قيمتها للملا وهو يردد كلمات صاحبها فى تحية العريس واهل العريس « والجدة » « والحنة » « واللى شرفونا » و « انا وانت » والف مرة « وسلام ياعم » .

وتعزف الموسيقى جزءا من السلام الوطنى قد يطول او يقصر حسب قيمة النقطة ثم تميل « الباتعة » على آخر وثالث ورابع ، وتتكرر التحية ويتكرر السلام ، حتى اذا ما احست الباتعة بان

المدعويين قد اكتفوا ولو مؤقتا بما نقدوها
 اياه فى هذا الشـسوط ، عادت تعلى
 النصب وتوالى تقديم رقصاتها واغانيها
 وفكاهاتها بالتناوب مع زملائها وزميلاتها
 ومضت الساعات تلو الساعات حاملة
 المتعة والهناء وقاومت رغبتى القاهرة الى
 النعاس بعزيمة قوية حتى اظهر امام
 والدى بمظهر الكبار الذين يعتمد عليهم
 فلا يحرمنى من صحبته الى الافراح
 التالية . وفجأة تصاعدت اصوات عابثة
 متساحكة من جماعة من الشباب تبدو
 عليهم آثار الخمر بوضوح من عباراتهم
 وتصرفاتهم ، تقول بصوت منغم رتيب .

— عاوزين صفصف ، عاوزين صفصف
 عاوزين صفصف .



وتساعلت فى نفسى عنى يكون هذا
 الصفصف الذى يطالب المدعوون بسماحه
 بهتل هذه الضجة الساخرة ، وحملت
 بعينى ، وتناولت بعنقى لاراه : واذا بى
 اشاهد أبى يقف مترددا ليقابل بعاصفة
 من الضحك والتصفيق والتهريج والصفير
 وبدا فى القاء منلوج فكاهى وهو يهتز
 بجسمه الضئيل القصير هزات متتابعة
 على أنغام الموسيقى ضج لها المدعوون
 بالضحك لكنها أثارت فى قلبى الصغير
 كوامن الالم والمرارة وانا اراهم اهتزازاته
 العشوائية هذه مثارا لضحك الضاحكين
 وهزء المستهزئين وسخرية الساخرين .
 ورغم كل ذلك كان يواصل منلوجه الذى
 نل كثيرا من الاستحسان ، وكثيرا ايضا
 من « التريقة » « والقفشات » وقارب
 المونولوج على الانتهاء وزادت حماسة أبى
 وجلبة الموسيقى الدالة على ذلك ، واذا
 به بحركاته شبه الهستيرية يقترب من
 حافة النصب المرتفع دون ان يدرى ،
 واذا بقدمه تزل فيتهاوى الى الارض على

حين غرة وكاد أن يحدث له ما لا تحمد
عقباه لولا أن أسرعت أيدي القريبين منه
الى نجدته فأسفدته وانتشلته من سقطته
نلم يصب الا بعرج ظهر أثره فى مسيره
واضحاً وهو يعود الى كرسيه ماداً
بذراعيه الى الامام يتحسس بها الطريق
ووجهه ينطق بالآلم البالغ ، وعيناه
الغائرتان المظلمتان تحدقان فى لا
شيء .

وشاهدت كل ما حدث لأبى المسكين
وكاد قلبى أن يسقط بين ضلوعى وأنهرت
دموعى الغزيرة المتتابعة فوق وجنتى وأنا
أجد أبى الضريب الذى لا يرى شيئاً مما
حوله يحدث له هذا الحادث المؤلم أمامى
الذى كاد أن يودى به لولا ستر الله ،
ومع ذلك كله أراه يكتم آلامه وأوجاعه
ومشاعره وأحاسيسه أزاء تحديق الأعين
فيه بما تحمله من معان متباينة ، ويعود
فى الحال ليستأنف عمله فى سبيل لقمة
العيش وكأن شيئاً لم يحدث .

يا لأبى المسكين .. اننى لم أشعر
بنضله ومدى تضحيته وكده وسهره
اللبالى بطولها حتى مطلع الفجر فى
سبيلى وفى سبيل أخوتى الكثيرين ووالدتى
المريضة زغم عاهته ليوفر لنا جميعاً بكل
ما فيه من جهد أسباب العيش الى الآن
وهيمت بأن أترك مقعدى لأذهب إليه حتى
أطمئن عليه ، وإذا بأفراد الفرقة
الموسيقية بصحبة والدى يعزفون
مقطوعة موسيقية مرحة ليزيلوا بها آثار
ما حدث من النفوس ، ويعيدوا الى الحفل
بهجته ورونقه . وما أن رأى الحاضرون
أبى وهو يشترك الفريق على طبلته
المعهودة بأصابعه المدربة حتى قابله
بالتصفيق الحاد الصادق هذه المرة .

وإذا بأحد المدعويين يسرعى أذن
رئيس الفرقة شيئاً ما ، فغمز بعينه الى
زملائه الذين كفوا عن العزف على الفور
دفعة واحدة قبل انتهاء المقطوعة ، ولم
يستمر أبى فى ضرباته الايقاعية الا أقل
من القليل ريثما أدركت أذناه المرهفتان
حقيقة المؤامرة فكف بدوره . وعاد الفريق
الى العزف فاستأنف أبى إيقاعه ثم
توقفوا ثانية على حين غرة ولكنه كان
فى هذه المرة كله أذان لما سيحدث من
مفاجآت فتوقف معهم فى آن واحد ، ولم
يتمالك المستمعون أنفسهم فانتطلقوا فى
تصفيق حاد طويل تتخلله عبارات
الاستحسان الصادقة .

وهنا امتلأت نفسى بالفخر لموقف أبى
المشرف وطردت هذه المشاعر أحاسيس
الآلم السابقة ولم أتمالك نفسى بدورى
فغادرت مكاتى مندفعاً صوبه متخطيماً
الصفوف بلا تردد ، وارتقيت النصب
المرتفع بخطوات ثابتة مرفوع الرأس ،
وبكل ما بى من عاطفة القيت بنفسي بين
أحضانته أقبله بحرارة .. وأنا أهتف من
اعماقى : —

— أبويا أبويا .

وتدحرجت عبرات الفخر من عيني ..
نوق وجه أبى . الذى ضمنى الى صدره
بحنان ، وبادلنى العناق وقد داخلته
مشاعر السعادة والرضا .. وعادت
الإشراقة الى وجهه الحبيب ، والبسمة
الحلوة المعهودة عنه الى شفثيه .

وازدادت عاصفة التصفيق شدة
وحرارة واستمرت فترة طويلة بلا انقطاع
دون أن أدري — وقتئذ سبباً لذلك .